الأحد: 2023/10/22

التّوقيت: 14:50 – 16:20/ القاعة: 17 في الكليّة/ الفوج:1-2

التّوقيت: 16:30 – 18:00/ القاعة: 17 في الكليّة/ الفوج:3-4

الدرس رقم 04: الخطاب والمجتمع

مقاربة ميشال فوكو

ركز ميشيل فوكو في حديثه عن الخطاب والمجتمع على نقد وهدم التفكير الغربي الذي كان دائماً يركز على معنى أن تكون بشراً بدلاً من كيف نكون بشرا، وفي هذا السياق أكد على وفاة الفاعل الموحد أو الوحيد وظهور كثير من الفاعلين، فالبشر ليس هم الفاعل الوحيد بل هم منتجات الممارسات الخطابية، كذلك الموضوعات ليست حقائق اجتماعية بل هي عملية تتعلق بكيف يأتي الفاعلون بالأشياء إلى الوجود من خلال اللغة، لذلك يمكن القول بوجود علاقة بين السلطة أو القوة (Power) واللغة، وبالتالي يجب اعتبار الفاعلين تكوينات اجتماعية تم إنتاجها من خلال الخطابات الاجتماعية التي تضع هذه التكوينات الاجتماعية في حقل علاقة القوة.

ولعل تهميش فوكو لدور البشر كفاعلين اجتماعيين هو ما عرضه لكثير من النقد، بالإضافة إلى تعدد وغموض بعض المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها في تحليله للفكر الغربي، وفي مقدمتها مفهوم الخطاب ذاته حيث أشار إلى الخطابات كتصريحات، وعرف تحليل الخطاب على أنه تحليل للأداء الشفوي، كما اعتبر الخطابات عوامل نشطة لتكوين وبناء المجتمع مع تبعيتها في الوقت نفسه لمجتمع معين أو مؤسسة معينة.

وفي موضع آخر اعتبر الخطابات تعبيراً عن علاقات القوة، بينما قال في سياق آخر: أن الخطابات تشير إلى كل ما يمكن التفكير فيه أو كتابته أو قوله بشأن موضوع أو شيء معين.

وفي موضع آخر يعرف فوكو الخطاب، بأنه كلمة تطلق على مجموعة من التصريحات التي تنتمي إلى نفس التكوين الخطابي، أي أن الخطاب يتكون من عدد محدود من التصريحات التي يمكن تحديد شروط وجودها.

ويهدف تحليل الخطاب لدى فوكو إلى تنوير البنية غير الواعية التي تحدد من طريقة تفكيرها، وفي كتابه الشهير (أركيولوجيا المعرفة) حاول فوكو إنشاء طريقة غير تأويلية وغير جدلية وغير مرتبطة بنظرية المعرفة لوصف وتصنيف التكوينات الخطابية التاريخية.

ويتبنى فوكو الفرض العام للنزعة التفسيرية الاجتماعية والذي يفسر أن المعرفة ليست مجرد انعكاس للواقع، فالحقيقة بناء خطابي والنظم المختلفة للمعرفة تحدد ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي أو زائف.

ولاشك أن أعمال فوكو قد أحدثت تأثيرات معرفية ومنهجية واسعة، كما أثارت جدلاً واسع النطاق وخضعت لقراءات متعددة، فقد اختلف الباحثون حول تصنيف مساهمات فوكو، فهنالك من يرى أنها تدخل في سياق ما بعد الحداثة، بينما يعتبره آخرون ما بعد البنيوية، لأنه يؤكد على الوجود الانساني اعتمادا على أشكال المعرفة والخطابات التي تعمل من خلال اللغة، وأن الخطاب يحدد طريق حياتنا، ويشكل هويتنا وسلوكنا كما ينعكس في الصراع حول السلطة.

فالتملك الاجتماعي للخطابات يمثل التربية والتعليم باعتبارها الأداة الأساسية التي تمكن من امتلاك الخطاب، وأي نوع من أنواع الخطاب، إلا أنه وكما هو معروف، فإن المنظومة التربوية لا يمكن فصلها عن الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع معين. وفي كل الأحوال فإن جماعات الخطاب والمذاهب والتربية هي الأشكال الأساسية الكبرى التي تحدد وظيفة الخطاب وتداوله وملكيته متعاونة مع المنظومة الخارجية والداخلية في مراقبة الخطاب والحد من سلطته.

أي أن الشخص بفضل التربية المجتمعية يتمكن من الانخراط ضمن نوع من الخطاب، ويصف فوكو التربية بأنها نوع من التملك الاجتماعي للخطاب، قائلا: "إن للتربية الحق قانونيا في أن تكون هي الأداة التي يمكن بفضلها لكل فرد، في مجتمع كمجتمعنا، أن ينخرط، بشكل مشروع، في أي نوع من أنواع الخطاب...إن كل منظومة تربوية عبارة عن طريقة سياسية للإبقاء على تملك الخطابات أو لتعديل هذا التملك، بجانب ما تحمله هذه الخطابات من معارف وسلط".

يضيف فوكو في كون أن الخطابات التي تتداول في مجتمع معين، يكتنفها نوع من الكبث الافصاحي أو لنقل خطابات تدخل ضمن الطبوهات التي يتعذر الحديث حولها بشكل واضح ويتضح ذلك جليا بحسبه في مسألة الجنس والسياسة التي عوض أن تناقش بشكل شفاف وموضوعي هي تثار وفق منوال يكتنف نوعا من إرادة السلطة التي تحاول فرض نفسها

عبر السيطرة على هذين العنصرين الهامين، ويضحيان كجهاز مراقبة يقول فوكو " كان هناك كشف كامل، خلال العصر الكلاسيكي للجسد كموضوع هدف للسلطة. وبسهولة تم اكتشاف إشارات تنم عن هذا الاهتمام الكبير الموجه يومئذ إلى الجسد –إلى الجسد الذي يُلَعّبُ، ويكيّفُ، ويدرب، ويطوّعُ، والذي يستجيب، ويصبح ماهراً وتتكاثر قواه ...

وفي نظر فوكو، فإن تحرير الخطاب ومحو الخوف الذي يبعثه في الذات والمؤسسة، يتطلب اتخاذ قرارات ثلاثة يقاومها فكرنا اليومي، وهي:

- إعادة النظر في إرادتنا للحقيقة.
- إعادة طابع الحدث للخطاب.
- رفع سيادة الدال).

وهو ما يسمح بالحديث عن مبادئ تحرير الخطاب وهي:

1. **مبدأ القلب:** ويعني التخلي عن مبدأ المؤلف والفرع المعرفي وإرادة المعرفة، والنظر في الخطاب كحدث.
2. **مبدأ الانفصال أو عدم الاتصال:** ويعني دراسة الخطابات كممارسات غير متصلة أي متقطعة، واستبعاد مبدأ الاتصال والاستمرار الذي ثبته التاريخ التقليدي أو التاريخ الكلي.
3. **مبدأ الخصوصية:** ويعني عدم إدراج الخطاب في دلالات ومعان مسبقة، أو إدخاله في لعبة التأويلات اللامتناهية، بل أن ننظر إليه كحدث متميز وكممارسة خاصة.
4. **مبدأ الخارجية:** يجب دراسة الخطاب من حيث الظاهر دون البحث في المعنى الخفي أو الدلالة الباطنية، أي دراسة ما يظهر من الأحداث وما يرسم لها من حدود.

وعليه فان ما يثبته التحليل السابق هو أن الخطاب ليس أداة في يد السلطة، ولا انعكاسا لها فقط، بل يشكل سلطة في ذاته وهو ما يشير إليه نص "إرادة المعرفة" من كون الخطاب

ليس مقسما إلى خطاب مقبول أو مرفوض، بل أن المعرفة والسلطة تتمفصل في الخطاب، وأنه يجب النظر إلى الخطاب كمجموعة عناصر تعمل في استراتيجيات مختلفة.

والخطاب لا تعود مرجعيته إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الصدق المنطقي أو إلى قواعد البناء النحوي، وإنما إلى الممارسة، الممارسة الخطابية وغير الخطابية على أن لا نفهم العلاقة بين الممارسات على أساس السبب والنتيجة، وإنما على أساس العلاقة التبادلية. أي أن الخطاب مشروط بالصيرورة الاجتماعية ويشكل جزءا من المجتمع رغم ما يتميز به من قدرة وإمكانيات.